أجرى المقابلة: بلال ضاهر

باحث متخصص في تحولات الأديان واليهودية

تومر برسيكو: الهوية اليهودية في إسرائيل تحولت إلى المركزية الإثنية!

وهذه الهويّة تنحرف نحو اليمين بطبيعة الحال لأنها هويّة قبليّة بمفهوم معيّن* ما نتجه نحوه الآن هو حكم بنمط بوتين وأردوغان الأوتوقراطي، أي نمط قائد متماه مع الدولة، هو الدولة والدولة هو، وكل هجوم عليه هو هجوم على الشعب لذلك لا توجد شرعية لمهاجمته، وهذا ما أحدثه نتنياهو

تركز هذه المقابلة الخاصة مع الدكتور تومر برسيكو، الباحث في شؤون الديانة اليهودية وتحولات الأديان في العالم، على التحولات التي طرأت على إسرائيل في العقود الأخيرة ويتناولها في دراساته. ومن وجهة نظره يعتقد أن الصهيونية تتحول من كونها «رسالة» إلى سِمّة بيولوجية في الأساس، بدون مطالب أو مطمح نهائي. وبرأيه أيضا هذه صهيونية فقيرة وواهنة وخائفة، منشغلة بالبقاء، وليس بالبناء والإنتاج. ووجهة هذه الصهيونية إلى الماضي التاريخي والعرقي، وليس نحو المستقبل. وهذه رؤية تستحق التوقف عندها.

بدأت المقابلة بسؤال برسيكو عن الطريق التي سلكها للوصول إلى موضوع تخصصه فأجاب قائلا:

«وُلدت وترعرعت في حيفا، في حي «نافي شأنان» وهو حي كبير وبسيط. كبرت في عائلة علمانية، أو حتّى ملحدة، أبي كان طبيبًا، أمي معلمة، وتوفيت في مرحلةٍ مبكرة من شبابي. طفولة عادية، لا شيء خاصًا، تعلمت في مدرسة عاديّة، انضممت إلى شبيبة معسكرات القادمين، واحدة من الحركات الاشتراكيّة التي تبقّت حتّى ذلك الوقت. ولدت عام ١٩٧٤، تجنّدت للجيش في العام ١٩٩٢، لفرقة «ناحال»، كنت عضو نواة في الـ«ناحال»، بمعنى أنّي تجنّدت مع مجموعة أصدقاء اجتمعت أصلًا من خلال حركة الشبيبة. مثل هذه النَوَيات كانت في السابق تُقيم الكيبوتسات، لكنّها لم تعد كذلك بل بقيت بأشكال ووظائف مختلفة. في جزء من خدمتي كنت مرشدًا لحركات الشبيبة، وثم كنت جنديًا أعمل في المخازن. في الحقيقة، بدأ اهتمامي بالأديان والتحوّلات الدينيّة بعد الجيش حين سافرت في رحلةٍ إلى الهند. كما الكثير من الإسرائيليين سافرت إلى الشرق بعد الجيش. كنت فضوليًا وفلسفيًا، وأردت أن أفحص كل موضوع الأشرم والغورو وهذه الأمور. وكنت أعتقد أنها مجرّد هراء، لأنّي كنت ملحدًا، ولكن بحسب منظوري فهي ليست هكذا

كاملةً. اهتممت مثلًا بتقنيّة تأمّل بوذيّة هي تقنيّة «فيباسانا»، واكتشفت أن هذه التقنيّة يمكنها أن تكشف لي الكثير، عن نفسي وعن العالم. بدأت أتدرّب على هذه التقنيّة، ومن هناك وصلت إلى كل ما يتعلّق بما يُسمى الـNew Age، أي الروحانيّة المعاصرة؛ وهي سلطة متنوّعة ومتعددة من الحركات الروحانيّة والمعتقدات والدورات والمُنتجات وإلى آخره. ومن هنا، بدأت البحث بطريقة منهجيّة وهكذا وصلت إلى العمل الأكاديمي. أنهيت لقبي الأوّل في قسم الفلسفة في جامعة حيفا، كنت متفوقًا، وحصلت على اللقب الثاني في الجامعة العبريّة في القدس في علم الأديان بإرشاد البروفسور غيستورزا، والدكتوراة من جامعة تل أبيب بعلوم الأديان أيضًا وقد تركّز بحثي في تقنيّات التأمّل في الديانة اليهوديّة، وقد صدر البحث في كتاب قبل عام. أما الآن فتركت هذه المجالات، وأصبح اهتمامي بالتحوّلات المعاصرة في الديانات، بالأصوليّة، بالعلمنة، في إسرائيل وفي العالم، فالتغييرات في إسرائيل هي تعبير عن تغييرات كونيّة طبعًا. هذا ما أبحثه وما أدرسه».

(*) سؤال: ما هي أبرز التحوّلات بهذا الشأن في المجتمع الإسرائيلي؟

برسيكو: هذا موضوع ضخم، ولكن لنقل إن المجتمع الإسرائيليّ والهويّة اليهوديّة في إسرائيل يعيشان منذ بداية التسعينيّات تحوّلين جديين: من جهة واحدة هناك عمليّة خصخصة. فعدد كبير من اليهود الإسرائيليين يشعرون بشرعيّة أن يفصّلوا لأنفسهم زيّ اليهوديّة بحسب مقاسهم، يصممون اليهوديّة كيفما أرادوا، يتعلّمون الـ«كاباله» مثلًا و«الحسيديّة»، والترتيل، ومدارس دينيّة متعددة، كل واحد وما يريده. ليس تديّنًا بمعنى أن ترجع «حريديا» بشكلٍ صلب، أن تنفصل عن العالم القديم وتدخل عالمًا جديدًا. اختلف الأمر؛ قلة قليلة تعود للتديّن الصلب، أما الأغلبيّة فترتّب لنفسها نوعًا خاصًا من اليهودية. أما التحوّل الثانيّ والمنهجيّ فهو في تحوّل الهويّة اليهوديّة في إسرائيل إلى المركزيّة الإثنيّة – اليهوديّة كهويّة إثنيّة مركزيّة، بمعنى تسطيح الهويّة اليهوديّة للمستوى الإثنيّ، أنا يهوديّ لأن دمّي يهوديّ وأمّي يهوديّة ولأنني عضو في الأمة اليهوديّة. ويتم التعبير عن هذه العمليّة من خلال التطرّف الوطنيّ، القوميّة والقومجيّة، والعنصريّة في أحيانٍ كثيرة.

انهيار الثقة بالقيادة

(*) سؤال: متى بدأ هذا؟

برسيكو: أرى أن بداية هاتين العمليتين المنهجيّتين كانت في سنوات التسعينيات. السبب لذلك هو عمليّة مركّبة: من جهة، انهيار الهويّة الصهيونيّة العلمانيّة اليهوديّة. هذه كانت هويّة،

تومر برسيكو.

إجابة للصهاينة العلمانيين عن سؤال «كيف أكون يهوديًا؟»، والإجابة التي قدّمتها الصهيونيّة العلمانيّة هي أن الانتماء للهويّة اليهوديّة هو من خلال الوصول إلى أرض الأجداد، تحقيق الاستقلالية الوطنيّة، أن تكون فلاحًا ومقاتلًا وتجدد الهويّة التوراتيّة. اليهوديّة التوراتيّة لم تخرج من المدارس الدينيّة، إنما كانت هويّة شعب يعيش في اقتصاد زراعيّ وفيه فلاحون وتجار ورجال عسكر مثل بار كوخفا والملك داود والـ«حشمونائيم»، وليست شبيهة بيهوديّة الشتات التي لم يكن لديها جيش مثلًا. يهوديّة الشتات كانت يهوديّة أنثويّة، بعكس اليهوديّة الذكريّة التي قدّمتها الصهيونيّة العلمانيّة. كانوا يبنون مجتمعًا مثاليًا، اشتراكيًا، يحقق رؤية الأنبياء للعدالة، مجتمع يهتم بالفقيرة، بالأرملة، بالمريض. هذه كانت هويّة يهوديّة معيّنة، وقدّمت إجابات محددة لسؤال: «كيف أكون يهوديًا». إلا أن هذه الإجابة انهارت من خلال عمليّة تدريجية بدأت منذ سنوات السبعينيات وصولًا إلى التسعينيات نتيجة عدة عوامل. من هذه العوامل انكسار الثقة بعد حرب الغفران وحرب لبنان. ما الذي حدث فجأة للقيادة العظيمة التي بنت الدولة وانتصرت في حرب الأيام الستّة (حرب حزيران ١٩٦٧)؟ حرب لبنان التي رأى الكثيرون بأنها غير ضروريّة، حرب خاطئة، وارتكبنا فيها العديد من الأمور الفظيعة، وسقط فيها العديد من الضحايا عبثًا.

إذن هذا نوع من انكسار الثقة بالقيادة. ولكن أيضًا هناك ما هو أكثر عمقًا وقوّة من أي عاملٍ أيديولوجي: إنه التغيير الواسع في المنظور الاقتصادي الاجتماعي. وهذه عملية عاشها كل الغرب، النيوليبرالية، والموجة الثانية من الرأسمالية، والتي خُصخِص في إطارها كل شيء، حتى دولة الرفاه الاجتماعي. ولم يكن الاقتصاد وحده ما خصخِص، إنما المجتمع أيضًا. كانت لحزب «مباي» سيطرة تامّة وهيمنة. لم يكن بوسعك أن تفعل ما تشاء، كان الجميع جزءًا من ذات المجتمع. كان هناك «إيثوس» – روح

الهوية الثانية، المركزية الاثنية، هي هويّة تنحرف نحو اليمين بطبيعة الحال لأنها هويّة قبليّة بمفهوم معيّن. المستوى الذي أتعامل بموجبه (ضمن هذه الهويّة) مع بيئتي والبيئة الخارجيّة هو المستوى الإثني، من هو مع شعبي جيد، ومن هو ضد شعبي شرير، وقد تكون هناك قوانين ومحاكم وقضاء، وكل هذه الأمور التي تثير البلبلة في تحديد من هو معنا ومن هو ضدّنا. لا تهمّني الرسميّات والنظم والقوانين إذا كان كل ما أريده هو الدفاع عن قبيلتي. يمكن رؤية ذلك بشكل مبسّط في قضية الجندي اليئور أزاريا.

الجماعة الأساسيّة التي فرضتها الدولة بشكلٍ جماعيّ من خلال عمليّة كبتت العديد من الأصوات، مثل أصوات اليمين (حتى العام ١٩٦٧) وأصوات الشرقيين وغيرهم. كان لديهم مثل عُليا يمشون بحسبها، وقد انهارت هذه أيضًا، وذلك بسبب الخصخصة التي غيّرت منظومة القيم والمبادئ من منظومة جماعيّة تقول بأن الفرد من أجل الجميع والجميع من أجل الفرد، جميعنا لأجل الدولة، التفكير بالمجموع أولًا (والأمور لم تكن بهذه المثاليّة طبعًا، ولكن هذه كانت روح الجماعة) وتحوّلت هذه المنظومة إلى روح فردانيّة تسعى لتحقيق الذات. وهذا ما مكّن الناس من التمسّك برؤيتهم الخاصّة لليهوديّة، والتعامل معها كشأن خاص.

إذن، من جهة واحدة فإن الإجابة المعطاة لسؤال «كيف أكون يهوديًا؟» تختفي، الإجابة الصهيونيّة العلمانيّة المركزيّة تنهار، ويبدأ الناس بالبحث عن إجابة جديدة. من جهة، يستطيعون صياغة إجابة فرديّة جدًا، ومن جهة أخرى، من يبحث عن إجابة جماعيّة فالطريق الأبسط هي اليهوديّة الإثنيّة: نحن شعب، وأنا جزء من الشعب، ويجب أن أدافع عن هذا الشعب ومن يمس بأي فرد من هذا الشعب فهو عدوّي.

هوية قبلية

(*) سؤال: هل أدت هذه التحوّلات إلى عمليّة تطرّف، إلى إزاحة باتجاه اليمين بين الجمهور الإسرائيلي؟

برسيكو: الهوية الثانية، المركزية الاثنية، هي هويّة تنحرف نحو اليمين بطبيعة الحال لأنها هويّة قبليّة بمفهوم معيّن. المستوى الذي أتعامل بموجبه (ضمن هذه الهويّة) مع بيئتي والبيئة الخارجيّة هو المستوى الإثني، من هو مع شعبي جيد، ومن هو ضد شعبي شرير، وقد تكون هناك قوانين ومحاكم وقضاء، وكل هذه الأمور التي تثير البلبلة في تحديد من هو معنا ومن هو ضدّنا. لا تهمّني الرسميّات والنظم والقوانين إذا كان كل ما أريده هو الدفاع عن قبيلتي. يمكن رؤية ذلك بشكل مبسّط في قضية الجندي اليئور أزاريا (قاتل الشهيد عبد الفتاح الشريف في الخليل)، فالناس تظاهرت أمام المحكمة ليس من أجل صدور حكم بالبراءة، إنما لتطالب بعدم إجراء المحاكمة من أصله. لا توجد حاجة لمحاكمة – هو ابننا جميعًا، واحد منّا، دافع عنّا أمام من جاء ليهاجم الشعب اليهودي، فما كل هذا الهراء عن حقوق الإنسان وقوانين الحرب وهذا المستوى القانوني الرسميّ الذي يتفوّق على المستوى الإثنيّ؟!...

(*) سؤال: نسمع هذا أخيرًا في تصريحات وزيرة العدل أييليت شاكيد التي قالت بأن اليهودية لن تنحني أمام المحكمة العليا...

برسيكو: يمكن رؤية تصريحات شاكيد بأنها تصريحات غير متطرفة تمامًا لأنها تقول هناك بأنّ المحكمة العليا عليها أن تأخذ بالحسبان في قراراتها الهويّة القوميّة للدولة وليس فقط حقوق الإنسان الكونيّة، ولكن طبعًا في الأجواء الآنيّة فهذا يُترجم إلى: «لا تشغلونا في أمور حقوق الإنسان، والأمن هو فقط ما يهم».

(*) سؤال: في قضية ما يسمى المتسللين، وفي هذه الأجواء، هذه التغييرات، لا بد من التطرّق إلى تأثير الصهيونيّة الدينية... فمن أين تنبع قوّتها وشرعيّتها...؟

برسيكو: لم أذكر أنّي، من حيث سيرتي الذاتيّة، اقتربت من الدين خلال هذه الرحلة. أعرّف نفسي اليوم بأني يهودي متديّن، لست أرثوذكسيًا ولكنّي متديّن.. لذلك أنا أيضًا جزء من الظاهرة التي وصفتها. ولقد حدث في الصهيونيّة الدينية أمر مشابه لما حدث في الصهيونيّة العلمانيّة. بمعنى أن الإطار الأساسي، الرواية الأساسية التي تأسست عليها منذ السبعينيات، انهارت هي

الأخرى. والتيّار الكوكيّ، أي الذي يتبنّى تفسير الحاخام أبراهام إسحاق هكوهين كوك، الذي مات في العام ١٩٣٥، للتوراة، أصبح أكثر عمليّة وأهميّة بعد حرب الأيّام الستّة، لأن هذه اليهوديّة رأت (باختصار) بأنه كلما وسّعت دولة إسرائيل سيادتها على مساحات أكبر مما يعتقدون بأنها أرض اسرائيل، يكون الخلاص أقرب، وأن هذه الطريق حتميّة بالمطلق ولا رجعة عنها، ودولة اسرائيل عليها أن تحقق السيادة على أكبر مساحة ممكنة، وهذا سيؤدي للخلاص وعودة المسيح المنتظر. وهذه الرؤيا واجهت إشكاليّات وصعوبات جدية حين تراجعت إسرائيل، فعلًا، من أراضٍ كانت تسيطر عليها. حين انسحبت من سيناء، وفي أوسلو انسحبت من جبال الضفة، ومن لبنان انسحبنا من منطقة يرى الكثيرون بأنها جزء من إسرائيل الكبرى والأرض الموعودة وإلى آخره، وطبعًا من غزة.. وهذه برأيي كانت الضربة الأخيرة التي حطمت الرؤيا الكوكيّة لليهودية. لذلك في الصهيونية الدينيّة، كما الصهيونيّة العلمانية، تم تفكيك الإطار الموحّد، ومنذ بداية الألفيّة الثالثة ترى في الصهيونيّة الدينية أصواتا كثيرة لم تكن لتسمعها في السابق. هناك تصاعد في التعبير الشخصيّ. إننا نرى نسويّة صهيونيّة متديّنة، ونرى مثليين صهاينة متدينين، ونرى من جهة أخرى وفي الاتجاه غير الليبرالي، الانشغال بجبل الهيكل (الحرم القدسي الشريف)، فتية التلال، هذه ظاهرة لم تكن موجودة قبل ٢٠-٣٠ عامًا، من جهة هناك خصخصة للهوية كما تظهر في الصهيونية العلمانية، ولكن الفرق يكمن في البعد مركزي الاثنيّة، القومي، للهوية اليهودية. تتبنى هذا البعد شرائح واسعة من اليهود العلمانيين في إسرائيل، وهو يعزز الصهيونيّة الدينيّة، التي تتحوّل تعبيرًا عن ولاء للشعب اليهوديّ. تشكّل، حتّى بالنسبة للعلمانيين، رمزًا ليهوديّة من النوع الإثنيّ، ترمز للولاء لليهوديّة. ولذلك، من جهة، هذه نخبة تتصاعد قوّتها، لأنّ أعدادا كبيرة من الصهاينة المتديّنين الذين التزموا في السابق مدارسهم الدينيّة وعملوا بالتدريس والدين، يخرجون الآن ويملأون الصحافة والقطاعات العامّة، وهذا ناتج عن انهيار الجماعيّة الكوكيّة. من جهة أخرى، يرى علمانيّون كثر بالصهيونيّة المتديّنة تمثيلًا للولاء للإثنيّة اليهوديّة، وهم من مصوّتي «البيت اليهودي» حتّى لو لم يعتمروا الكيبا ولا يلتزمون بالفروض الدينيّة. ونفتالي بينيت يعتمد على هذه الأصوات.

(*) سؤال: وفي الليكود أيضًا، هم القسم الأكثر تأثيرًا...

برسيكو: وفي الليكود أيضًا. نعم.

(*) سؤال: الصهيونية الدينية معروفة اليوم بارتباطها بمشروع الاستيطان. بماذا ترتبط أيضًا؟ بماذا تُعرف؟

الجمهور الصهيوني الديني في إسرائيل: غير متجانس، ومتبدل.

برسيكو: يجب أن نشدد على قضيّة مثيرة للاهتمام. إن مشروع الاستيطان هو أهم ما يميّز الصهيونيّة الدينيّة، هو مشروعها وطفلها المدلل ويمثّلها، رغم أن معظم الصهاينة المتدينين لا يعيشون في المستوطنات وهم برجوازيّة وطبقة متوسّطة اعتياديّة.

ممثلو الصهيونية الدينية كنخبة صاعدة

(*) سؤال: هل هناك مجالات أخرى تميّز الصهيونيّة الدينيّة؟

برسيكو: يمكن أن نقول إنهم في كل مكان. وهم في كل مكان لأنهم نخبة صاعدة، ومنهم رئيس الشاباك، المفتش العام للشرطة، رئيس الموساد، هذا واضح...

(*) سؤال: ووزير التربية والتعليم، ووزيرة العدل...

برسيكو: وزيرة العدل مثلًا علمانيّة، لكن هنا بالضبط ترى كيف تكون الهويّة الاثنية القوميّة واليمينية أهم من الهويّة الدينيّة. وهذا تغيير مهم في الصهيونية الدينية يمكن التركيز عليه.

(*) سؤال: شبيبة أو فتية التلال ظهروا أيضًا داخل الصهيونيّة الدينية. ولكن هناك ظاهرة ما يُسمى بـ«الحردليم». ما هذه الظاهرة، هل هي قريبة من الصهيونية المتدينة؟

برسيكو: هذا ما بدأت أقوله حول ما يجري في الصهيونيّة الدينيّة. نتيجة تفكك الإطار الكوكي الذي تحدث عن الخلاص والاستيطان، فإن الصهيونية الدينية ليست حركة خلاصيّة، لا

الموضوع هنا لا يتعلّق بدفع الطلاب إلى التديين، أو أن يلتزم الطلاب بالفروض الدينيّة. ليس هذا الموضوع، بل هو إدخال المضامين التعليمية حول الهوية اليهودية الاثنية، القوميّة، اليمينية، التي تركز على قدسية الأرض، قدسية القدس، الكل ضدنا، العالم يلاحقنا.. كل هذه السردية التي نعرفها، التي طورها بنيامين نتنياهو ويستخدمها دائمًا. هذه هي القصّة، ومن جهة وزير التربية والتعليم نفتالي بينيت، فإن هذه السرديّة تكبّر جمهور مصوّتيه. وبالمناسبة بينيت لا يريد الهيكل، لا ينتظر المسيح، لكنه يؤيد الديمقراطيّة الإثنية الأقل ليبرالية مما هي عليه الآن.

أحد هناك يتوقّع أن المسيح المنتظر يقف على الأبواب. يجب أن نتذكر سنوات السبعينيّات حين كان الناس ينتظرون فعلا وصول المسيح المنتظر، وهذا الأمر انتهى ونحن في المراحل الأخيرة. الآن لا أحد يتحدث هكذا، ونتيجة انكسار هذه الرؤيا، فقد زادت الصهيونية الدينية من تركيزها على الهوية الاثنية، وجاء ذلك على حساب اليهوديّة الفقهيّة. القلق على كمال الأرض والدولة ومشروع الاستيطان وحتى لا تنسحب الدولة من هذه الأراضي، والميزانيات، حوّلت الصهيونية الدينية بعد أن تحطم الإطار الكوكيّ إلى صهيونيّة قوميّة ويمينية على حساب التديّن الفقهي. واحدة من هذه الظواهر هي الـ«حردليوت». وهي جزء من الصهيونية الدينية يرى بأن باقي الصهيونيّة الدينيّة تبتعد عن الفقه والدين، فإن النساء، مثلًا، لا يغطين رؤوسهن، ويسمعون غناء النساء دون مشكلة، يستخفون بفروض دينية معيّنة، صهيونيّة متديّنة لايت، كل التعامل مع المثلية الجنسية تحول إلى تعامل ودّي، ممنوع ولكن يمكن التسامح معه. هناك قسم في الصهيونية الدينية يرى كل هذا، ويتراجع برعب، ويتحصن بهوية دينية تشدد على الفقه كمميز أساسيّ في الهويّة، وهؤلاء هم الحرديم، وداخل الحرديم هناك الكثير من التيارات الصغيرة، واحد منها التيّار المسمّى بـ«يشيفوت هكاف»، أو يشيفات هار هامور، برئاسة الحاخام تسفي يسرائيل طاو، وهو لا زال، ربما الأخير الذي يتبنى ويمتلك صيغة معينة عن الكوكية، الفرق أنه أجّل الخلاص إلى أجل غير مسمّى، ولكن الدولة لا تزال مقدسة بالنسبة له والاستيطان هو طريق الخلاص.

(*) سؤال: ولماذا برز الآن، في السنوات الأخيرة، موضوع الدخول إلى الحرم الشريف؟

برسيكو: هنا أريد أن أعود إلى ذات الانهيار في الكوكيّة. الحاخام أبراهام إسحاق هكوهين كوك وابنه منعا أي دخول يهوديّ إلى جبل الهيكل. حرّما ذلك بشكلٍ قطعيّ. فالابن تسفي يهودا هناك محادثة معه يسألونه فيها: «ألا يضايقك أن الوقف الإسلامي موجود هناك في جبل الهيكل؟ أليس من الأفضل أن يكون جنود الجيش الإسرائيليّ هناك؟» فيقول: «أتركني من هذا، أنا غير منشغل به»، فيسألونه مجددًا «ربما أن يكون العلم الإسرائيليّ فوق المسجد الأقصى؟» فيقول لهم جملة من المزامير. لا يهم، لكنه عمليًا يتخلّص من السائل، يقول له: أتركني من هذا الموضوع.

رؤية تسفي يهودا هذه قريبة من ٩٩ بالمئة من رجال الدين الصهاينة المتدينين. حتى العام ١٩٩٦ جزم الموقف أن الدخول إلى الأقصى متروك حتى قدوم المسيح المنتظر. نحن الآن نبني المستوطنات، نوسع السيادة والحدود، نعم، لكن جبل الهيكل هذا لأيام المسيح. ولكن عندما تنهار الكوكية، يزداد المجتمع الصهيوني المتدين تعددية، وتعلو أصوات كثيرة لم تُسمع من قبل، فمن جهةٍ لديك المثليين والنسويّات ولديك الكثير من الأمور، ومن جهة أخرى لدينا الحرديم، وهناك أيضًا من استبدلوا فكرة قدوم المسيح المنتظر بعد التوسع بالاستيطان، ووجوب القفز إلى المرحلة النهائيّة وبناء الهيكل ولذلك يجب الدخول إلى جبل الهيكل. عمليًا، يجب أن أوضح، ليس كل من يدخل إلى جبل الهيكل يهمّه أن يبني الهيكل. إن الهدف الأساسي للصهاينة المتديّنين الذين يدخلون إلى جبل الهيكل هو إثبات السيادة اليهوديّة على المنطقة، السيادة الإسرائيلية، جزء صغير منهم يتحدث عن بناء الهيكل أيضًا، الأغلبية لا، ولكن هذا صوت مركزي من بين الأصوات الأخرى التي تمثل بعدا إضافيا في الصهيونيّة الدينيّة.

(*) سؤال: وماذا بالنسبة لتديّن التعليم الذي قد يؤثر كذلك على الأجيال القادمة من الإسرائيليين. ما شكل المجتمع الذي يسعون لإقامته؟

برسيكو: الموضوع هنا لا يتعلّق بدفع الطلاب إلى التديين، أو أن يلتزم الطلاب بالفروض الدينيّة. ليس هذا الموضوع، بل هو

أعتقد انه من المبالغة الحديث عن فاشية ونازيّة. هنا يجب أن نفرق بين ما يحدث في دولة إسرائيل الرسميّة، وما يحدث في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة الإسرائيليّة. إذا كنت تتحدث عن الفلسطينيين في الضفة، فطبعًا إسرائيل تقيم هناك حكمًا عسكريًا، تقيّد السلطة الفلسطينية بعدة أشكال، ولا يمكن الحديث عن ديمقراطية هناك طبعًا، ولكن إن كنت تسأل إن كانت إسرائيل ستشهد حكمًا فاشيًا تجاه الداخل، تجاه دولة إسرائيل، برأيي لا. ما نتجه نحوه الآن، وآمل ألا يحدث، هو حكم بنمط بوتين وأردوغان، نمط أوتوقراطي، قائد متماه مع الدولة، هو الدولة والدولة هو، كل هجوم عليه هو هجوم على الشعب.

إدخال المضامين التعليمية حول الهوية اليهودية الاثنية، القوميّة، اليمينية، التي تركز على قدسية الأرض، قدسية القدس، الكل ضدنا، العالم يلاحقنا.. كل هذه السردية التي نعرفها، التي طورها بنيامين نتنياهو ويستخدمها دائمًا. هذه هي القصّة. ومن جهة وزير التربية والتعليم نفتالي بينيت، فإن هذه السرديّة تكبّر جمهور مصوّتيه. وبالمناسبة بينيت لا يريد الهيكل، لا ينتظر المسيح، لكنه يؤيد الديمقراطيّة الإثنية الأقل ليبرالية مما هي عليه الآن.

(*) سؤال: بينيت يرفض إقامة دولة فلسطينيّة. في المقابل هناك في الصهيونية الدينية من يوافق على دولة فلسطينيّة. ففي الصهيونيّة الدينية المعتدلة هناك من يمثل هذا التوجّه.

برسيكو: صحيح، والصهيونية الدينية المعتدلة غير ممثلة في الكنيست. لكن صحيح أن تعامل بينيت مع الفلسطينيين غير ديمقراطي، يرفض منحهم دولة ويرفض أن يكونوا مواطنين، ولكن هناك بعد هائل بينه وبين عضو كنيست مثل بتسلئيل سموتريتش من «البيت اليهودي» أيضا، فهذا الأخير أصولي، وهو يقول بشكل واضح أنه لو امتلك القوّة فإما أن يفرض على الفلسطينيين أن يكونوا في مواطنة من درجة ثانية، أو يُطردوا، أو تتم إبادتهم. بينيت لا يتحدث هكذا، بل إنه أقرب إلى نتنياهو، يشبه نتنياهو إلى حدٍ بعيد. بينيت سيء من وجهة نظر يسارية لكنه يتبنّى المركزيّة الإثنيّة، وليس بشكل أصولي ديني خلاصيّ.

(*) سؤال: سبق أن قلت في مقابلة في «هآرتس» إن إسرائيل تتحول من ديمقراطيّة إلى اثنوقراطيّة، وإن هناك عملية اجتماعية في العقود الأخيرة، في إطارها يعتمد الجسم السياسي أكثر وأكثر على الانتماء الإثنيّ. هل يمكن أن تعطينا أمثلة؟

برسيكو: مثال واحد هو حالة إليئور أزاريا، مثال آخر هو الهجوم على جهاز القضاء، على المحكمة العليا. ماذا يقول هذه الهجوم؟ ماذا يقول نتنياهو؟ نحن نريد أن نبني دولة ثابتة، مزدهرة، محمية للشعب اليهودي. وهنا يأتي هؤلاء القضاة أو الأكاديميّون (الهجمة على الأكاديميا أيضًا)، ويُسقطون علينا مبادئ وأسس قانونيّة من القانون الدولي ومنظومة حقوق الإنسان، ونماذج الديمقراطيّة الكونيّة التي لا تلائمنا. وهم يحاولون إخصاء الشعب العضويّ، الحياة العضويّة للشعب التي لا تحتاج لهذه الشكليّات. عمليًا، هناك تشديد على المستويات الطبيعيّة العضويّة العائليّة القبليّة الاثنية، ورفض للقانون والإجرائيّة والشكليّة والمبدئيّة والقضائية، لذلك تتحول من ديمقراطية ليبرالية إلى إثنوقراطية. في الديمقراطيّة الليبراليّة لا تستطيع الأغلبية الإثنيّة أن تسلب حقوق الأقليّة حتّى لو أرادت ذلك. هي لا تستطيع بسبب وجود دستور وقوانين أو محكمة تمنع ذلك. هذا معنى الديمقراطية الليبرالية. وهذا الهجوم يحاول، عمليًا، إضعاف هذه الدفاعات حتى يكون من الممكن سلب حقوق الأقليات بشكل أو بآخر.

نظام حكم بنمط بوتين وأردوغان

(*) سؤال: في ظل حكم اليمين في إسرائيل، حيث الصهيونية المتدينة هي جزء مركزي منه، هناك نقد، بين مثقفين وأكاديميين ورجال عسكر اسرائيليين، لهذه اليمينية. مثلًا، يقول زئيف شطيرنهل إنها مسار باتجاه الفاشية، واللواء يائير غولان يعود إلى سنوات العشرينيات والثلاثينيّات عند صعود النازيّة. ما رأيك؟

برسيكو: أعتقد انه من المبالغة الحديث عن فاشية ونازيّة. هنا يجب أن نفرق بين ما يحدث في دولة إسرائيل الرسميّة، وما يحدث في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة الإسرائيليّة. إذا كنت تتحدث عن الفلسطينيين في الضفة، فطبعًا إسرائيل تقيم هناك حكمًا عسكريًا، تقيّد السلطة الفلسطينية بعدة أشكال، ولا يمكن الحديث عن ديمقراطية هناك طبعًا، ولكن إن كنت تسأل إن كانت إسرائيل ستشهد حكمًا فاشيًا تجاه الداخل، تجاه دولة إسرائيل، برأيي لا. ما نتجه نحوه الآن، وآمل ألا يحدث، هو حكم بنمط بوتين وأردوغان، نمط أوتوقراطي، قائد متماه مع الدولة، هو الدولة والدولة هو، كل هجوم عليه هو هجوم على الشعب، لذلك لا توجد شرعية لمهاجمته، هذا ما أحدثه نتنياهو. نحن لا نزال بعيدين عن روسيا وتركيا ولكن هذه هي العملية التي يمكن أن نقرأها. نحن نتقدم إلى هناك، وليس إلى الفاشية. مرة أخرى، أنا أتحدث عن حدود دولة إسرائيل الرسمية. من الواضح أنه في المناطق المحتلة لا توجد ديمقراطية والوضع مختلف والوضع (لا سمح الله) سيتدهور في حال انهارت السلطة الفلسطينية، حينها ستكون هناك وضعيّة قد تدفع دولة إسرائيل إلى دوّامة عنف جديدة وقد تضطر إلى الدخول والحكم بشكل مباشر وعندها سيكون الوضع كارثيا.

(*) سؤال: من هم الخصوم، داخل إسرائيل، للصهيونيّة الدينيّة... وهل ترى قوة سياسية تقوم داخل إسرائيل يمكنها أن تواجه الصهيونية الدينيّة؟

برسيكو: الصهيونية الدينية هي نخبة متصاعدة، ولديها قوتها، ولكن يجب عدم المبالغة في توصيف قوّتها. مرة أخرى، لدى نفتالي بينيت ٨ مقاعد في البرلمان. صحيح أن هناك صهيونية متدينة في الليكود، ولكن هذا بشكل أو بآخر يقول بأن الصهيونيّة الدينيّة ليست الحزب الأكبر، وبأنها مشتتة. هناك العديد من وجهات التصويت للصهيونيّة الدينيّة، ليست كتلة واحدة يجب الوقوف أو يمكن الوقوف ضدها كجسم واحد. يجب ألا نبالغ بالخوف من الصهيونيّة الدينيّة. معظم الصهيونيّة الدينيّة في نهاية المطاف هي برجوازية وطبقة وسطى تريد العيش في ديمقراطيّة. هل هناك قوة يمكنها أن تتحداهم؟ أنا أعتقد أنه يمكن لقوة كهذه أن تتصاعد فقط في حال قادت الصهيونية الدينيّة إسرائيل نحو كارثة. عمليًا، إذا أحدث مشروع الاستيطان أزمة، أي أن يتحوّل مشروع الاستيطان إلى مسبب كوارث داخل إسرائيل، إذا كان هذا واضحًا فإن السخط سيوجّه ضد الصهيونيّة الدينيّة. يجب أن ننتبه: لم يتحوّل المستوطنون أبدًا لشريحة محبوبة لدى الجمهور الإسرائيلي العام. الجمهور الإسرائيلي في نهاية المطاف يتنصّل من المستوطنات ومن المستوطنين. هذا لا يقول إنهم يكرهونهم، لكنهم لا يحبونهم اكثر من اللازم، هناك غيرة بسبب الميزانيات والمعاملة المفضِّلة التي يتلقونها من الحكومة. من الصعب على أغلب الإسرائيليين فهم الدوافع التي تؤدّي بالمستوطنين للعيش في يهودا والسامرة إذا كان الأمر يشكل خطرًا عليهم. وبالمحصّلة فإن أغلب الإسرائيليين لا ينتقلون ليهودا والسامرة، حتى لو كان ذلك أفضل اقتصاديًا. يجب أن نذكّر أن الصهيونيّة الدينيّة كانت عدوّ الجمهور الإسرائيليّ قبل ١٢ عامًا فقط. وقت الانسحاب من غزّة، سمعنا كلامًا واضحًا من حكومة شارون، عن أن الصهيونيّة الدينيّة خلاصيّة وعنيفة، ورأينا كيف قمعتهم الشرطة بعنف. كان ذلك قبل ١٢ عامًا فقط. هناك حالة من التردد والبلبلة والشك تجاه هذا الجمهور. من جهة واحدة يحترمونهم لأنهم رمز ليهوديّة جذريّة مُحارِبة وطنيّة يمكن الاتكال عليها، لمن يريد الاتكال على شيء كهذا، من جهة أخرى يتلقون ميزانيّات وامتيازات وهو ما يثير الغيرة والكراهية تجاههم.

عن أسرلة الحريديم

(*) سؤال: في قضية الحريديم كتبت أنهم يتماهون مع الدولة أكثر وأكثر وينتمون أكثر للوطنية الإسرائيلية وهو ما يكسر الهويّة الانعزاليّة ويخلق هويّة أكثر تنوعًا. ما معنى هذا؟

برسيكو: عمليًا، تحدثنا عن أزمة الهويّة لدى العلمانيين وعند المتدينين، وعند الحريديم هناك أزمة هويّة أيضًا، وهو ما يظهر بالأساس في أزمة القيادة. القيادة الحريدية لا تمثل أوساطا كبيرة من جمهورها. القيادة الحريديّة في الكثير من الأحيان مؤلّفة من قياديين مُسنّين، رجال دين في التسعينيّات من العمر، ولا يستطيعون التفاعل بشكل ناجع مع تحديات الجمهور الحريدي اليوم. وهذه التحديات تنبع من نجاح الجمهور الحريدي، بحيث أنه يتنامى بشكل كبير ومثير للاهتمام، والتسويات الاجتماعيّة التي كانت تنظم العلاقات في إسرائيل قبل عشرين عامًا، أربعين عامًا، لم تعد ناجعة ونافعة اليوم.

يتصاعد عدد الحريديم ممن يدخلون سوق العمل. يزداد بالتالي دخولهم للجامعات. وهوامش الحريديم تتوسّع، الهوامش تكبر وتتنوع وتتعدد. هناك الكثير من الحريديم «اللايت». لا زالوا حريديم بمفهوم معيّن، ولكنّهم يتعلمون في الجامعة ويخدمون

في الجيش وإلى آخره، ويرسلون أبناءهم إلى الجيش ويختلطون بسوق العمل الإسرائيلية. وهذا يحدث. وحين يحدث هذا، تعيش هذه الهوامش عملية أسرلة، جزء من هذه العمليّة هي عملية تماه مع القومية ومع الوطنيّة، مع دولة إسرائيل، وبمفاهيم معينة فإن الحريديم يقفزون إلى الوطنيّة بشكل أسرع من الصهيونيّة المتديّنة. الصهيونيّة المتديّنة وصلت إلى الوطنيّة عبر ١٠٠ عام من بناء الدولة إلى جانب الصهيونيّة العلمانيّة، من خلال بناء الدولة، الخدمة في الجيش، قيادة الدولة (أن يكونوا وزراء ويديروا ميزانيّات) وأثبتت أنها قادرة على تذويت مبادئ حداثيّة، من النسويّة والإنسانيّة، أما الحريديّة فتمارس هذه القفزة إلى الوطنيّة دون هذه الطريق. ولذلك تتحوّل في أحيان كثيرة إلى متطرّفة في يمينيّتها وعنصريّتها أكثر من الصهيونيّة الدينيّة. إذا أردت، اليوم عمليًا يمكن أن ترى الإحصائيات. أكثر جمهور عنصري تجاه العرب وغير اليهود هم الحريديم، لأنهم يأتون من منظور تقليديّ جدًا وسابق للحداثة، أبيض وأسود، شعب مختار وكل هذا، ومن دون الاصطدام بالواقع الذي يضع كل هذه المفاهيم في حجمها الحقيقيّ، ويصوّبها من خلال مواجهة الوقائع. وحين يكتشفون الإسرائيليّة الوطنيّة، فإنهم يتحولون لليمين، وحتى بدرجات متطرفة. ليس جميعهم طبعًا. جزء كبير لا تسحرهم الوطنيّة.